

The Semiotics of Characters in The Stories of Hasab-Allah Yahya 2001-2017

[*] Murad Abdul-Sattar Khalifa

[†] Prof. Dr. Fatin Abdul-Jabbar Jawad

[*], [†] Department of Arabic Language, College of Education for Girls, Al-Iraqia University Baghdad, Iraq

سيميائية الشخصيات في قصص حسب الله يحيى ٢٠٠١-٢٠١٧

(*) مراد عبد الستار خليفة

(†) أ. د. فاتن عبد الجبار جواد

(*)، (†) قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية بغداد، العراق

SUBMISSION

التقديم

31/08/2023

ACCEPTED

القبول

15/11/2023

E-PUBLISHED

النشر الإلكتروني

25/04/2024

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 8118-2663

doi <https://doi.org/10.25130/jaa.16.56.8>

Vol (16) No (56) March (2024) P (90-103)

ABSTRACT

The character is one of the most important elements of the narrative work, because it is concerned with the creation and development of the event. It is one of the important elements in which the main components of the story revolve. The character is the mixing of reality and imagination, created by the storyteller in his imagination, borrowing its features from real reality and adding to it the artistic touch that makes it closer to realism and convincing. Therefore, the character element has its artistic value at the narrative level, regardless of the differences in viewpoints.

The artistic importance of the character lies in its activity, movement, and knowledge of the task of the narrative actions that are integrated in the narrative text, and this is what Aristotle went for when he stressed the importance of depicting the action in addition to clarifying with it the role of the actor. This is clear from his saying: (In order to judge something that was said or occurred to the extent its importance: We must not only look at the action itself, but we must also take into account the person who performed the action or said it.

Storytelling means employing the character from the inside and outside in a way that often leads to confusion between the character in the fictional reality and the character in the lived reality, with a desire to make the recipient believe in the realism of that character, which is often described as a living being with a physical existence, describing its features, stature, voice, clothing, and age.

The character occupied special importance in the nineteenth century by separating it from the event and giving it an active role in narrative works. It was necessary for the character to be characterized by special characteristics that remain unique and cannot be replaced by anything else, and at the same time to enjoy generality until it becomes universal. If this indicates that it indicates the high value of the individual in society by giving the personality a higher value, and this has been confirmed by studies in this aspect.

As for modern narration, it began to look at character in a different way than it was in the past, and interest in character began to gradually diminish following the emergence of formalist critics, as these critics made it clear that character does not play an important role in moving the narrative dynamic, and this is what the Russian critic (Vladimir Propp) argued in An analysis of the Russian tale through which he sought to reveal the elements of the narrative text in the context of his focus on the functions performed by the characters as a semantic unit and not a fixed a priori given.

It is worth noting that the characters differ depending on the methods of presenting them, as each storyteller has his own way of drawing the features of the characters externally and internally, and even determining their narrative function and scope of movement. This is achieved by the writer's ability to create and innovate, and he convinces us to accept the types of characters, interact with them, and feel their realism, even though they are imaginary.

The types of characters vary according to the researcher's ability to classify them based on the narrative work. There are those who divide them into three sections as follows:

1. The main character: He is the character who dominates the narrative work in presence, influence, and portrayal.
2. Flat personality: It is the one that remains as it is without development.
3. The rounded or developing character: He is the one whose appearance is not complete until the end of the story.

We will try to shed light on the method of constructing characters in Hasaballah Yahya's stories, as the characters that appeared in all of his stories varied between realism, that is, familiar to the reader, or that the reader does not feel strange about, and fantasy, which are those that have a unique imaginative dimension, with features Unreasonable dimensions.

الملخص

تعد الشخصية واحدة من أهم عناصر العمل القصصي، لأنها تهتم بخلق الحدث وتطوره في من العناصر المهمة التي تدور المقومات الرئيسة للقصة فيها، فالشخصية هي امتزاج الواقع بالخيال يتكرها القاص في مخيلته ويستعير ملامحها من الواقع الحقيقي ويضيف لها اللمسة الفنية التي تجعلها أقرب إلى الواقعية والافتقار، إذن فعنصر الشخصية له قيمته الفنية على مستوى السرد مهما اختلفت وجهات النظر.

تتمثل الأهمية الفنية للشخصية في نشاطها وحركتها وإطلاعها بمهمة الأفعال السردية التي تتواشج متكاملة في النص القصصي وهذا ما ذهب إليه أرسطو إذ أكد على أهمية تصوير الفعل إلى جانب أن يوضح معه دور الفاعل يتضح ذلك من خلال قوله: (لكي تحكم على شيء قيل أو وقع لدى أهميته يجب أن لا ننظر إلى الفعل في ذاته فحسب، وإنما يجب أن نضع الاعتبار أيضاً إلى الشخص الذي قام بالفعل أو فاه بالقول).

ويعني السرد القصصي بتوظيف الشخصية من الداخل والخارج بطريقة كثيراً ما تؤدي إلى الخلط بين الشخصية في الواقع القصصي والشخصية في الواقع المعاش، رغبة في إيهام المتلقي بواقعية تلك الشخصية التي كثيراً ما توصف على أنها كائن حي له وجود فيزيقي فتصنف ملامحها وقامتها وصوتها وملابسها وسبها.

احتلت الشخصية أهمية خاصة في القرن التاسع عشر من خلال فصلها عن الحدث وإعطائها دوراً فعالاً في الأعمال السردية، فكان من الضروري أن تتميز الشخصية بصفات خاصة تظل منفردة ولا يمكن إحلال شيء آخر محلها وأن تتمتع في الوقت نفسه بالعمومية حتى تصبح كونية، وهذا إن دلّ فإنه يدل على ارتفاع قيمة الفرد في المجتمع عن طريق إعطاء الشخصية قيمة عليا فيه وهذا ما أكدته دراسات في هذا الجانب.

أما السرد الحديث فأخذ ينظر إلى الشخصية نظرة تختلف عما كانت عليه في السابق، وأخذ الاهتمام بالشخصية يتضاءل تدريجياً إثر ظهور النقاد الشكلانيين إذ وضّح هؤلاء النقاد أن الشخصية لا تلعب دوراً مهماً في تحريك ديناميكية السرد، وهذا ما ذهب إليه الناقد الروسي (فلاديمير بروب) في تحليل الحكاية الروسية التي سعى من خلالها إلى الكشف عن عناصر المتن السردية في سياق تركيزه في الوظائف التي تؤديها الشخصيات بوصفها وحدة دلالية لا معطى قبلها ثابتاً.

الجدير بالذكر أن الشخصيات تختلف باختلاف طرائق تقديمها إذ أن لكل قاص طريقته في رسم ملامح الشخصيات خارجياً وداخلياً، بل تحديد وظائفها السردية ومجال تحركها ويتحقق ذلك بقدرته الكاتب على الخلق والابتكار وهو يقتنعنا بقبول أنواع الشخصيات والتفاعل معها والشعور بواقعيها، مع أنها متخيلة. وتختلف أنواع الشخصيات بحسب قدرات الباحث على تصنيفها انطلاقاً من العمل القصصي فهناك من قسمها على ثلاثة أقسام كالآتي:

١. الشخصية الرئيسة: وهي الشخصية الطاغية على العمل القصصي حضوراً وتأثيراً وتصويراً.
٢. الشخصية المسطحة: وهي التي تبقى على حالها من دون تطور.
٣. الشخصية المدورة أو النامية: وهي التي لا يكتمل ظهورها إلا في نهاية الحكاية.

وسوف نحاول أن نسلط الضوء على طريقة بناء الشخصيات في قصص حسب الله يحيى، حيث أن الشخصيات التي ظهرت في مجمل قصصه كانت تنوع بين الواقعية أي المألوفة لدى القارئ، أو أن القارئ لا يشعر بغربة تجاهها، والفتنانية وهي تلك التي لها بعد خيالي منفرد، بملامح ذات أبعاد غير معقولة.

KEYWORDS

Semiotics, The Authoritarian Personality, Stories, Hasab-Allah Yahya, The Crisis Personality

الكلمات المفتاحية

السيميائية، الشخصية التسلطية، القصص، حسب الله يحيى، الشخصية المأزومة



Copyright and License: This is an Open-Access Article distributed under A Creative Commons Attribution 4.0 License, which allows free use, distribution, and reproduction in any medium provided the original work is properly cited.

المبحث الاول: الشخصيات التسلطية:

عرفت النزعة التسلطية بالعديد من المصطلحات منها التسلطية والسلطوية والدكتاتورية والمرهوبة، انطلاقاً من دلالتها الواقعية التي تتحدد من خلال العلاقة التي تتحكم بالتصرفات الفردية للشخصية نفسها تجاه العامة،^(١) ولقد سعى النقد الأدبي في دراسة سمات الشخصية التسلطية من خلال الانكفاء المباشر على منهج التحليل النفسي للأدب، إذ يرى أصحابه أنها تتمثل في كونها ((تتصرف من موقع قوة ما، وتعطي لنفسها التدخل في تقرير مصير الفرد أو الأفراد الذين تطالبهم سلطتها))^(٢) وبالتالي فإن مفهوم الشخصية المتسلطة ((يسير جنباً إلى جنب من مفهوم الخضوع والسيطرة وتحقيق المصلحة العامة على حساب المصالح الأخرى، وهذا يستدعي قوة التهيب لضمان جريان أحكامها واستمرار هيبتها))^(٣)، مما يجعلها تسهم أسهاماً واسعاً في الحاق الأذى بالآخرين، وتغيير معالم الطبيعة والتاريخ وتزييف الكثير من الحقائق من خلال زرع قيمها الخاصة فكرياً وايدئولوجياً^(٤) ((وهي قيم واساليب سلبية سريعة التلون كما أن حوافزها ودوافعها وضوابطها وتوافيقها والضمير الذي يحكمها ... كلها تعمل على نحو ذاتي، ولا تعني بأهمية أفعال الغير))^(٥).

أما فيما يخص السمات العامة الغالبة على الشخصيات المتسلطة وكما يحددها (ارك فروم) فهي كالآتي^(٦):

١. شخصيات تعشق القوة والمسيطرة والممارسة من قبل الأفراد والمؤسسات.

٢. تمتلك موقفاً من الحياة يمتاز للخضوع للقدر والماضي والعجز والامتثال لقوة أعظم منها.

٣. تتصف بالمعاناة وغياب الشكوى.

٤. شخصية نسبية وعدمية فهي شخصية يائسة ومنعدمة الإيمان.

٥. ينعدم في فلسفتها أي قوة للمساواة فلا القوي هو الأعلى ولا الضعيف هو الأدنى.

ومن الشخصيات المتسلطة في قصص حسب الله يحيى نجدها في قصة (الست باسمه) فهي من القصص التي لها وجود حقيقي في حقبة من حقبات تاريخ العراق المعاصر وتنبئ شخصياتها ضمن الطبقة الواقعية ((وما يعنيه هذا النمط من الشخصيات التي قامت بأدوار فاعلة ويمثل وجودها داخل النص علامة مصورة جزئية معينة من حياة الشخصية))^(٧) وتقوم القصة على تقسيم ثنائي يستند على محورين متضادين من القيم هما: (محور الخير) والمتمثل بالست باسمه المعلمة في مدرسة المنار الابتدائية، و(محور الشر) والمتمثل بالجماعة الإرهابية التي قامت باقتحام أسوار المدرسة واسدال العلم العراقي ومن ثم استبداله بعلم آخر يرمز إلى مظاهر العنف والقتل والمجازر الوحشية. إذ تبدأ هذه القصة عن طريق حارس المدرسة الذي شغل دور الراوي العليم قائلاً: ((قرعت جرس المدرسة واصطفت التلميذات في ساحة المدرسة. كانت الست باسمه تقف صباح الخميس أمام تلميذات مدرسة المنار الابتدائية وهي تنظم الصفوف وتقرأ على تلميذاتها الأناشيد ... وتقدم بنفسها لرفع العلم العراقي.. بثقة عالية ووطنية مخلصة تسري في كيائها ... رفرف العلم فيما كانت شمس الخميس بهية. وهو الأمر الذي جعل شمس الخميس تغازل العلم وتضيء الوانه وحروفه النورانية.. وفجأة اندفع ثلاث رجال مسلحين وملثمين ... واتجهوا إلى الساحة مباشرة، لم يكن بمقدوري منعهم واجتازوا باب المدرسة واهملوا حتى سؤالي وأنا اجلس عند الباب))^(٨).

ونظراً لأهمية (حارس المدرسة) وفاعليته السردية التي تنطلق من خلال شغله دور الراوي العليم لهذه الحكاية والاعتماد عليها على اعتبار أنه (الصوت الخفي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه)^(٩) و((أداة تقنية يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصة أو ليبث القصة التي يروي))^(١٠) فإن استعمال هذه التقنية وتوظيفها في النص جاء من أجل عرض إشكالية تحديد الشخصيات والتطرق إلى بعض الصفات المتعلقة بها، ولا سيما الشخصية الرئيسية التي تعد عماد البناء السردى ومركز معانيه التي تدور حوله أحداث القصة^(١١) بالتالي فإن عملية توظيف الراوي سيميائياً تخضع لتطوير حركة السرد داخل النص، وتساهم في التحليل الدلالي لحركة الشخصيات داخل المتن الحكائي، فهو المسؤول عن تحديد حركة الشخصيات داخل عملية السرد، على اعتبار أنها الشخصيات هي المحرك الأول لحركة السرد في النص الأدبي ووفقاً لهذا التقدير فإن هذا النص يخضع لثنائية (الخير والشر) كما

نوهنا سابقا، بالامكان ان يكون خاضعا الى ثنائيات عدة بالمقاربة، ك (الوطنية والهمجية)، (الحياة والموت) (السلم والعنف) وغيرها من الاحكام الخاضعة لتقدير مستوى فهم وادراك القارئ.

ووفقا لهذا التقدير فإنَّ عملية إخضاع الشخصيات وما تحملها من صفات ضدية للبنية العاملية تستلزم الوقوف عند هذه العوامل وتحديد ادوارها داخل بنية السرد، من خلال توزيع هذه الادوار على القوى الفاعلة داخل بنية السرد، فأول تلك العوامل تلك هو (العامل الذات) الذي تدور حوله احداث القصة، والمتمثل بالست باسمه من خلال استدالها العلم الذي وضعته الجماعة الارهابية بدلا من العلم العراقي امام التلميذات في ساحة المدرسة، ((حدثت المعلمة في الخرقه السوداء المرتفعة ... تقدمت الى السارية.. وامسكت العلم الذي بدا مثل شهيد في انفاسه الاخيرة مرميا على الارض تعتمل في حركته نسائم الصباح. لم يكن امامها الا انقاذه والسهير على مده بالحياة وانقاذه من موت يحرق به ويحاصره من كل جانب. امسكت بالعلم. قلبته ووضعت فوق كتفها وراحت تنزل تلك الخرقه السوداء.. رمتها بعيدا ووضعت بدلها علم بلادها))،^(١٢) فالعامل الذات المتمثل بـ (الست باسمه) يسعى للاتصال بالموضوع من خلال محاولتها الحفاظ على الهوية الوطنية ومنع استلابها عنوة من قبل الارهابيين؛ اما الدافع الذي جعل من الست باسمه تقدم الى هذا العمل فهو الموقف الذي اتخذته في داخلها للتعبير عنه امام تلميذاتها، (وانتقلت تحديق في تلميذاتها وفي عيون مديرة المدرسة وزميلاتها المعلمات.. امتحنت الصمت والحذر الذي كان يتجسد صائتا امامها.. ويدفعها الى التحدي والاصرار)،^(١٣) اما العامل المعارض لهذه الذات فنجدته متمثلا بالعصاة الارهابية من خلال اطلاقهم التحذيرات المنذرة من محاولة اسدال علمهم او عدم الاعتراف به ((هذا علمكم.. هل تفهمون.. نحن نحذركم... كانت الست باسمه تقف.. كما لو انها تحولت الى قطعة من جماد))،^(١٤) ولكن الكارثة الاكبر حلت عندما عادت هذه الجماعة المسلحة الى ساحة المدرسة؛ لكي تتأكد معارضتهم وتنفيذ ما قد وعدوا به من عقاب، ((عاد الرجال الثلاثة بعيونهم التي كانت تشتعل شررا ووجوه كالحة غاضبة ولحى كثة عفنة.. ثم امسكوا بالست باسمه التي كانت حائرة وجروها الى حجر منسي كان في ركن الساحة... شهبوا على يدها اليمين وبسطوها فوق الحجر.. سحب احد الثلاثة سيفها كان يحمله وثرثر بعدة كلمات و.. فجأة قطع اليد من الرسغ))،^(١٥) فيتضح من خلال التركيبة العاملية ان العامل المعارض المتمثل في الجماعة الارهابية ساهم في عرقلة الذات العاملة من تحقيق هدفها، فهي ترفض القهر والارهاب الفكري والتعذيب المعنوي والمادي الذي يعد ((مظهرا من مظاهر غياب الديمقراطية في المجتمع))،^(١٦) فمن خلال هذه البنية العاملية تظهر لنا علاقة الاتصال بين الذات والعامل المساعد الذي رصد اعمال الارهاب وما ينطوي عليه حال الفرد العراقي من تشظ للهوية واضطهاد وتدهور على الاصعدة كافة اجتماعية كانت او سياسية وثقافية، اما على مستوى العلاقة بين العاملين المساعد والمعارض فنلاحظ ان ثمة صراع قائم بين الهوية القديمة الهوية الجديدة التي فرضت على الذات، مما ادى الى تصدع تلك الهوية.

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة (الست باسمه)؛ اذ يتولى (المرسل) الشرف الوطني ونكران الافكار الدخيلة على المجتمع التي تسعى للنيل من كرامة الانسان وانتهاك حرياته، مهمة الدفع بالذات نحو تحقيق رغبتها وهذا ما يدل على نجاح المسار الدلالي لبنية السرد، فالست باسمه ما فعلت ذلك الا لإيمانها بان الشرف منتهك، ذلك لان الانسان منتهك ايضا، فلا قيمة لإنسان يرى الشرف بالعذرية؛ انما يؤخذ الشرف بالتضحية فيتوجب نبذ الخوف ورفض الاستسلام لأخذ الشرف^(١٧).

اما في قصة (امرأة من بلور ... رجال من رماد) التي جسد فيها الكاتب الشخصية التسلطية الذكورية الى الشخصية التاريخية (شهریار)، سعيا منه الى تعرية الاساليب التعسفية التي حفلت بها حياة المرأة وهو تعاني من ظلم الشخصية الذكورية راصدا كل معاناتها، ونلاحظ ذلك من خلال هذا الحوار الذي يُظهر المكانة الدونية التي تحظى بها المرأة، فالعامل الذات المرأة المتمثلة بـ (شهرزاد) تسعى للتحرر والتخلص من عبودية وسلطة الرجل من خلال تقويض المعتقدات والموروثات التي تهدف الى تحجيم دور المرأة في المجتمع من خلال الحوار الدووب

الهادف الى التحرر من سطوة الرجولة الجاثمة على حياة المرأة، وما تحملها من مأس وخيبات، ((قال انني اصبحت ملكة الان.. سمعت منه هذه العبارة، حاولت ان امحوها من ذاكرتي ... كررها ... محوتها ... كرر ما يماثلها ويزيد. قال: ساعيد معك عصر شهريار وشهرزاد..

قلت له كن شهريار او الرشيد او من تشاء.. واترك لي ان اكون من اكون.

قال: لا.. عندما يشاء شهريار، فان على شهرزاد ان تستجيب له.

قلت له: وعندما ترفض شهرزاد الاستجابة لشهريار...؟

قال: لابد ان تقتل مثل سواها من النساء.. حاولت ان اهدئ من شوك الكلمات وحدة الموقف. رسمت ابتهامة حزينة على شفتي وقلت: لماذا لا تقول: بيتنا، ابناؤنا، حاجتنا الحياتية المتبادلة، افراحنا، احزاننا المشتركة...؟))،^(١٨) ومن هنا ينطلق الدافع الحقيقي العامل (المرسل) للزوجة بالبحث عن حقيقة واقعها بعد ادراكها حقيقة الواقع المحيط بها بغية تحقيق هدفها وابرار دورها كنصر له حضوره ومكانته المهمة في المجتمع، الامر الذي يضعها اما موقف المعارضة مع النظرة والدونية التي تنكشف امامها عن طريق (الزوج) الطرف المعارض في الحوار، ((خاطبني بصوت حاد وصارم. البيت باسمي، والابناء يحملون اسم الادب.. المرأة هي التي تسهر على حاجة الرجل، والزوجة هي التي تحمل اسم الزوج.. وانتماؤها لابيها ينتهي بمجرد توقيع العقد ... كل النساء خلقن لمتعة الرجل، جوارى له، امهات لأبنائه، خادمات في بيته، راعيات لأنسه، مداويات لآلامه وغضبه وتعبه ومرضه))،^(١٩) فيتضح من خلال التركيبة العاملة ان العامل (المعارض) المتمثل بالزوج ساهم في عرقلة الذات العاملة من تحقيق هدفها، فهي ترفض الخنوع للسلطة الذكورية وتسعى للحصول على المزيد من الحرية لها ولقريناتها من النساء اللاتي يعانين الظلم والاضطهاد ذاته، ((قلت له: هذه الافكار لا تروق لي انا لست جارية ولا محكومة لاحد ولا سلعة ولا للإيجار انا انسان من حقها ان تفكر فوق قناعتها. ضحك.. كان يسخر مني، من سذجتي واحلام طفولتي وشبابي.. قال: الزوجة الناجحة، هي من تصهر افكارها وحياتها كلها في حياة زوجها))^(٢٠). فمن خلال هذه البنية العاملة تظهر لنا علاقة الاتصال بين الذات والعامل المساعد الذي يظهر ازمة الحرية من خلال تعبيره عن مشاعر المرأة المضطهدة، في حين نلاحظ الانفصال التام على مستوى العلاقة بين العاملين المساعد والمعارض المتمثلان بين الرغبة في الوصول الى الحرية وبين العادات والتقاليد المجتمعية المفروضة على الذات، والمؤدية الى استباحة الرجل لها وانتهاكها لكامل حقوقها.

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة (الزوجة)؛ اذ يتولى (المرسل) المطالبة بالمزيد من الحرية مهمة الدفع بالذات نحو تحقيق رغبتها وهذا ما يدل على نجاح المسار الدلالي لبنية السرد، فالزوجة ما فعلت ذلك الا من اجل ادانة المجتمعات التي تعلوا فيها السلطة الذكورية على المرأة واقصاء دورها في الحياة وجعلها تبعا للرجل.

اما في قصة (جنكيز خان) فقد جسد فيها الكاتب الشخصية الرئيسة من خلال الاحالة الى شخصية معروفة تاريخيا بدورها السلبي المتمثل بنشر الرعب والقتل والبطش في المجتمع الذي كان يقبع تحت سلطته وحكمه، وجاء استلهاام الكاتب لهذه الشخصية التاريخية؛ سعيا منه لخلق عالم مواز لعالم السلطات السياسية القمعية، فجعل من العامل الذات (جنكيز خان) رمزا للبطش الذي يتلاءم مع النوازع الهمجية لتلك السلطات في تدمير كل من يقف في طريقهم بكل همجية ووحشية،^(٢١) ((وقف جنكيز خان بين مجموعة من قوافل التجار كان قد حاصرها.. واحاطها بسيوف دامية. امتد اصحابه لنهب القوافل.. لكنه اوقف هذا الامتداد وامر اصحاب تلك القوافل قائلا: نحن لا نأخذ ما تحملون من تجارة.. نحن نأكل البشر.. ولكي يبرهن على ما قاله، اشار الى احد اعوانه فمزق احد رجال القافلة وبات يمزق جسده بأسنانه))، كما قد جعل من قوافل التجار انعكاسا للأحوال القهرية التي مرت على واقع الانسان العراقي، على اعتبار ان العمل الادبي مرتبط جدليا بالواقع؛ لأنه يتخلق من حركته ونظامه، ومن ثم يتشكل من اجله، لكي يصنع اقارارا بوجود مؤثر واقعي يقتضي التسليم بوجود ذلك التأثير الذي يفعل العنصر الواقعي على الحكاية،^(٢٢) ((غير ان الواقع المنعكس خلال العمل الادبي لا يكون واقعا تجريديا

صرفاً، فالأديب يصور الواقع من خلال التقاطه الجزئيات ليركبها من جديد بحسب رؤيته وأدواته وإدراكه لعلاقة الانسان بالكون على اعتبار ان الوعي مرحلة متقدمة عن الواقع، وان الرواية ووعي الواقع وانتاجه انطلاقة من رؤية وموقف محدودين))^(٢٣) فالواقع الذي عاشه الفرد العراقي كان يحمل حزمة من التحديات وما تبعها من اساليب التهديد والتخويف لكل من يعارض الفكر السياسي للنظام والسلطة؛ مما اسهم وبشكل مباشر في صياغة وعي جديد لذلك الانسان يقوم على توخي الحذر وتلافيه ولا يعرض نفسه الى عواقب وخيمة. ((ذهل التجار بما رأوا ... تخلوا عن احمالهم، وارادوا النجاة بأرواحهم لكن جنكيز خان اوقفهم.. وطمانهم على حياتهم هذه المرة.. وطلب إليهم نقل هذه الحقيقة الى كل القوافل الذاهبة والقادمة التي يمرون بها وتممر بهم ... لم يكن جنكيز خان بحاجة الى تأكيد هذا الطلب ... ذلك لان التجار قد عرفوه وشاهدوه مجسدا امام عيونهم))^(٢٤).

فمن خلال البنية العملية يظهر لنا انحسار دور العامل المعارض؛ وذلك بسبب سياسة القمع التي كانت تُمارس ضد الانسان آنذاك، مما حدا بالكتاب الاتجاه نحو القناع والرمز هرباً من السلطة^(٢٥) في حين نلاحظ الانفصال التام على مستوى العلاقة بين العاملين المساعد والمعارض؛ بسبب قيود الخوف والاضطهاد التي جوبه بها الانسان العراقي، وكذلك تفشي الموانع والخطوط الحمر في التعبير عن الواقع المعيش، ونتيجة لذلك جاءت الحكاية متوائمة مع واقع الانسان بخوفه واحزانه وآلامه^(٢٦).

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة (السلطة الحاكمة) المتمثلة بجنكيز خان؛ اذ يتولى العامل (المرسل) دور إشاعة سياسة البطش والتعذيب والترهيب؛ خوفاً من التمرد او الخروج عليها، من خلال ((إغراق الضحية من مخاوف معينة ... بحيث يتصرف على اساسها، ويتخذ خطوات لتجنب شراً متوقعا))^(٢٧) مما يدفع بالعامل الذات نحو تحقيق الرغبة في الاعلان عن مصير كل يحاول الاقتراب من هرم السلطة.

المبحث الثاني: الشخصيات المأزومة:

عرفت الشخصية المأزومة بأنها من الشخصيات التي اخرجها الواقع الاجتماعي، وانه السبب الاساس في ظهورها، اذ يؤكد علماء علم النفس بأن الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة، فمن خلال هذا الواقع تمكن الكتاب من خلق ابطالهم وشخصياتهم^(٢٨) فالتسمية التي أُلقت على هذا النوع من الشخصيات لم يكن لها وجود في الغالب في واقع الصطلح الادبي، اذ تعد في حقيقتها مشتقة من ((مصطلحات علم النفس وأدخلت في مصطلحات الادب))^(٢٩) فالأزمة كما يصفانها جان لابلانش، بونثاليس: هي ((ذلك الظرف الذي يمنع فيه على الشخص اشباع مطلب نزوي ... وهو يشمل كل عقبة خارجية او داخلية تحول دون ذلك الاشباع))^(٣٠) فمن خلال هذا التعريف يمكننا الاستدلال بان الأزمة تمثل خيبة امل وانكسار يعيشهما الانسان مما ينعكس سلباً على الخالة النفسية والمعنوية لديه، مما يؤدي الى ((فشل الفرد في اشباع حاجاته او يعني قيام موانع او معوقات حالت بين الفرد وبين اشباع حاجاته))^(٣١) فالشخصية المأزومة هي شخصية غير قادرة على التكيف مع واقعها المعيش، وان من ابرز مميزاتا هي ((نظرتها المثالية للامور، ولعل مثاليتها تلك هي السبب فيما تواجهه من متعب واحباطات))^(٣٢) ولذلك يعاني الشخص المأزوم بـ ((الهزيمة في اعماقه، فهو شخص متشائم، ولا مبال وذو نزعة سوداوية، وهو يغلق كل النوافذ التي قد تفتح امامه، انه يائس ومنعزل تماماً عن حركة المجتمع من حوله ... وغالبا ما يتخذ موقفاً سلبياً من الناس، وربما اتخذ موقفاً عدائياً هداماً من المجتمع الذي ينتهي اليه، فهم المجتمع فهما خاصاً واقتنع بهذا الفهم وانطلق منه معمماً ومستنتجاً استنتاجات خاصة ايضاً: لقد خلقنا من ازمته انساناً مشوهاً من الداخل وعجز عن تجاوز هذه الأزمة او ايجاد حل مناسب لها، ان القلق والسوداوية وعدم الاستقرار وانعدام التوازن من سمات حياته المضطربة))^(٣٣) والأزمة احياناً تكون قوة دافعة للشخص على ازالة العوائق، غير انه من الممكن كذلك للأزمة ان تقود الى اتخاذ وضعية دفاعية تشوه الواقع ولا نرى الاسباب الحقيقية الكاملة خلف الفشل في تحقيق الأهداف^(٣٤) وكل ذلك يعد ((دلالة يقينية بفشله وعجزه، ودليل على سوداويته ورؤيته اليائسة للمستقبل))^(٣٥) وان الشخص المأزوم غالباً ما كون ضميره حياً، لذا فهو دائماً ما

يعيش مرارة المعاناة ويكون في حالة توتر وقلق مستمرين، اذا يرى نفسه بطلا في زمان غير زمانه، بينما يراه الآخرون شخصا غاضبا^(٣٦) وغالبا ما يحاول الهرب الى العزلة التي لا تزيد الا كآبة ومزاجا حادا قلقلًا. ومن الشخصيات المازومة لدى حسب الله يحيى نجدها في قصة (صورة العزيز) فهي من القصص تنتهي الى الواقعية الاجتماعية التي تسعى الى تقديم وعي سلبي في ادراك العلاقة بين الانسان وعالمه ومن ثم تكبل حركة الانسان من المساهمة في تغيير هذه العلاقة نحو الأفضل^(٣٧) وتقوم القصة على تقسيم ثنائي يستند على محورين متضادين من القيم هما: (محور الصدق) الذي يمثله (مالك صورة العزيز) الشخصية المحورية في القصة، من خلال تصديقه الدائم لمجتمع المحيط وما يظهره من مشاعر ودية تجاه ذلك العزيز، و(محور الكذب) والمتمثل بالمحيط الاجتماعي، من خلال استغلال المكانة العالية للعزيز لدى هذه الشخصية بغية تحقيق مصالحهم الخاصة، ((ولان الصورة صارت كيانا، ووجودا، وخلودا مقدسا.. ولأنها تشكل هذا الحضور الاخاذ في رأسه ونفسه، فقد تنبه الجميع اليها واليه.. بحيث لم يعد أحد يفكر بالاقتراب منه والتعامل معه الا من خلال الصورة))^(٣٨).

فيظهر تشكيل البنية العائلية في القصة من خلال تحديد الذوات العاملة والموضوع الذي يعكس رغبة تلك الذوات وبقية العوامل المشاركة في بناء بنية السرد، اذ نجد من خلال المسار السردى ان (المرسال) احساس الذات (المجتمع المحيط) بالمكانة العالية والمرموقة للعزيز لدى الشخصية الرئيسة، الذي يعد العامل الاساسي الدافع بالذات الى تسليط الضوء نحو العزيز عن طريق مدحه والثناء عليه واطهار محاسنه؛ هو الانتفاع من الشخصية بالحصول على منافع او مكاسب يقابلها ذلك المدح والثناء، ويرى (غريماس) انه ليس من الضروري ان يتكون العامل الذات من شخصية واحدة؛ ذلك لان العامل في تصويره يمكن ان يكون ممثلا بممثلين متعددين، كما انه ليس من الضروري ان يصبح العامل شخصا ممثلا؛ فعلى هذا الاساس ستصبح الشخصية مجرد دور ما يؤدي في الحكي بغض النظر عما يؤديه من ادوار شموليه او فردية^(٣٩) ((وفي الصباح.. اقسام موظف انه تأخر عن الدوام بسبب زحمة المواصلات، بانه لن يتأخر بعد، وقد استعان بالصورة في تأكيد قسمه.. وعندئذ مضى صباح الموظف على خير. وفي الظهيرة غلب النعاس على موظفة كسولة.. وحين وبخها.. اكدت له بحق صاحب الصورة، انها مريضة.. فسامحها وزودها باستمارة مرضية. وعندما حان الانصراف.. فتح ابواب سيارته المتواضعة لأربعة من الموظفين ليقلمهم معه.. فدعوا له ولموتاه بالرحمة.. ووضح أحد الاربعة كان يجلس في المقعد الامامي.. الف رحمة على روحه فهو يستحق الرحمة))^(٤٠) وفجأة تظهر لدى الشخصية الرغبة في التخلي عن الموضوع القيمي (مدح العزيز)؛ نتيجة العامل المعارض (العزيز نفسه) الذي مارس فعل الاقناع بالتخلي عن كل من يدعي الصلة الباطلة بالعزيز، كاشفا عن كذب الذوات وخداعهم، ((وذات ليلة باردة.. كان المطر يغسل المدينة، وثلج يضيء ويلون رآه، رآه يخرج من إطار الصورة، يحدق فيه، يتأمله مليا.. ثم يحثه.. ويكشف له امر كل واحد ممن زاروه، وزعموا انهم من معارف واقارب واصدقاء وزملاء الغالي العزيز.. واكتشف.. ان المدينة كانت تكذب عليه باسم العزيز))^(٤١).

فمن خلال هذه البنية العائلية نجد اننا امام مستويين عاملين، يتخذ مفهوما شموليا يهتم بالأدوار وبالذوات المنجزة لها دون الاهتمام بالشخصية المحورية، ويتم ذلك من خلال علاقة الرغبة بين الذات والموضوع، اما الآخر فيبدأ عند ظهور دور العامل المعارض الذي منح الشخصية المحورية قوتها الذاتية الفاعلة، وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدرتها واراداتها وهي تراقب صراعا وخفاها، وسط المحيط الاجتماعي الذي رُمي بها فيه.

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة المتمثلة بـ (المحيط الاجتماعي للشخصية)؛ اذ يتولى العامل المساعد (مدح العزيز) تحقيق علاقة الاتصال بين الذات والموضوع؛ مما دفع بالعامل الذات نحو التمكن من تحقيق بعض المكاسب والمصالح التي انتهى الدور بها عند بداية ظهور العامل المعارض.

اما في قصة (انتظار المستحيل) يحيلنا الكاتب الى ظاهرة التغرب التي شكلت جزءا كبيرا من حياة المغتربين العراقيين، الذين تركوا وطنهم كراهية لأسباب (سياسية وعرقية واقتصادية، بيئية.. الخ)، فكشفت لنا هذه القصة المعاناة التي تواجهها الشخصية المهاجرة من اختلاف في الانظمة والعادات والتقاليد والاعراف الدينية والاجتماعية ما بين الوطن وبين بلاد المهجر ((مما يسبب تصادما وصراعا داخل الشخصية بين الوطن الاصل وبين الوطن الجديد الذي التجأت اليه الشخصية))^(٤٢) وتقوم هذه القصة اساسا على اسلوب السرد الذاتي الذي وظفه الكاتب بواسطة ضمير المتكلم (انا)؛ وذلك من اجل افصاح الشخصية والمتمثلة بمازن (العامل الذات) عن وجهة نظرها تجاه ظاهرة التغرب (العامل الموضوع في هذه الحكاية)، وما يتجلى من ضغوطات عائلته (العامل المعارض) في بنية السرد، وخاصة والده في الرغبة في التخلي عن فكرة الهجرة من بلده، اراد ومن خلال هجرته والانتقال للعيش خارج العراق ان يهرب من نفسه ومن كل ما يذكره بالحالة البائسة التي تمر بها البلاد، والبحث عن حياة كريمة وحرية تشبه الى حد ما حياة الغرب، هربا من واقع مزر لا يقيم للإنسان وزنا ولا قيمة، ((ابي اعرف.. اعرف ان الامر يحزنك كثيرا. اعرف ان السفر يعني بالنسبة اليك كارثة.. لكن الكارثة درستها، تأملتها، راجعتها مرارا، جعلت احتمالات الفشل فيها ممكنة، مثل ما امكانات النجاح فيها ممكنة كذلك.. واتخذت قراري بالسفر))^(٤٣) ليواجه حزمة من المتغيرات اهمها القوانين والاعراف والتقاليد؛ مما جعله يعيش نوعا من الاحباط والتشاؤم والقلق الحضاري والانساني، ((من الزمي بكل هذا.. من اكرهني على هذا الخيار. كيف رضيت ان استبدل كل تلك الحفاوة في وجوه من أحب ومن التقي ومن احاور.. بكل هذا النحس، في وجوه تعاملني بشك وريبة ورهبة. وجعلها تنظرني كما لو كنت معتوها او مصابا بالجذام))، لقد شكل هذا السرد السير ذاتي ادهاشا حقيقيا على المستوى العاملي للذات، لما يمتاز به من خاصيات تضفي طابع الذاتية والواقعية على النص السرد، وتزيد المتلقي احياء بحقيقة الحدث وصدق واقعيته^(٤٤) مما يجعلنا امام مفارقة حديثة على المستوى المعاشي، من شخصية برجوازية كانت تجد نفسها انيقة مرفهة في وطنها، فيتحول بها الحال الى واقع اخر مزر، مخيب للأمال والتطلعات، مع الشعور بالقسوة والظلم والتمييز على الهوية، ((كانت الدروب موصدة امامي. كانت شهادتي الطبية لا تعني شيئا. كانت لا تضفي علي اقل احترام اتوسله.. كانوا يحدقون مرارا في وجهي وجواز سفري وشهادتي واوراق. كنت متهما بشكل دائم.. ودائما علي ان اثبت برائتي))^(٤٥) لقد ولدت هذه المفارقة شيئا من الاضطراب النفسي الذي يعيشه مازن كتنشيط الهوية وانعدام الشعور بالانتماء إلى الوطن الجديد رغم وجوده فيه، فالطريق الذي سلكه مازن كان يؤدي الى الوهم وان استمرار السير فيه يؤدي الى اللامجدوى، ((تصحبني الحقائق او اصاحبها، ارافقها او ترافقني، استظل بها او تستظل بي.. فكلانا ينتهي الى وطن واحد، وكلانا عرف الوجوه نفسها، وكلانا يعاني من الغربة والتشرد))^(٤٦).

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السرد للذات العاملة المتمثلة بـ(مازن) من خلال هذه البنية العاملية، اذ نجد انفصالا تاما بين العامل الذات (مازن) والعامل الموضوع، فكرة اللجوء الى خارج البلاد، ليُصَدَم بواقع مزرٍ اشد ضراوة من الواقع الذي كان عليه، كما ان هناك انفصالا على مستوى العاملين المرسل المتمثل بالامال والتطلعات التي كانت تهدف الشخصية الى تحقيقها، والمرسل اليه الاحباط النفسي والتشرد والغربة التي عانتها الشخصية، وعلى الرغم من غياب العامل المساعد، الا انه لم يكن للعامل المعارض (الاب والاسرة) دورا مؤثرا على قرار الشخصية نظراً لقناعتها التامة في العامل الموضوع وخوض تجربتها الجديدة التي بنت عليها امال كبيرة الا انها بائت بالفشل.

عرفت الشخصية المأزومة بأنها من الشخصيات التي اخرجها الواقع الاجتماعي، وانه السبب الاساس في ظهورها، اذ يؤكد علماء علم النفس بأن الفرد والمجتمع وجهان لعملة واحدة، فمن خلال هذا الواقع تمكن الكتاب من خلق ابطالهم وشخصياتهم^(٤٧) فالتسمية التي أُلقت على هذا النوع من الشخصيات لم يكن لها وجود في الغالب في واقع الاصطلاح الادبي، اذ تعد في حقيقتها مشتقة من ((مصطلحات علم النفس وأدخلت في مصطلحات الادب))^(٤٨) فالأزمة كما يصفانها جان لابلانش، بونثاليس: هي ((ذلك الظرف الذي يمنع فيه على

الشخص اشباع مطلب نزوي ... وهو يشمل كل عقبة خارجية او داخلية تحول دون ذلك الاشباع))^(٤٩) فمن خلال هذا التعريف يمكننا الاستدلال بان الازمة تمثل خيبة امل وانكسار يعيشهما الانسان مما ينعكس سلبا على الحالة النفسية والمعنوية لديه، مما يؤدي الى ((فشل الفرد في اشباع حاجاته او يعني قيام موانع او معوقات حالت بين الفرد وبين اشباع حاجاته))^(٥٠) فالشخصية المازومة هي شخصية غير قادرة على التكيف مع واقعها المعيش، وان من ابرز مميزاتها هي ((نظرتها المثالية للأمور، ولعل مثاليتها تلك هي السبب فيما تواجهه من متعب واحباطات))^(٥١) ولذلك يعاني الشخص المازوم بـ ((الهزيمة في اعماقه، فهو شخص متشائم، ولا مبال وذو نزعة سوداوية، وهو يغلق كل النوافذ التي قد تفتح امامه، انه يائس ومنعزل تماما عن حركة المجتمع من حوله ... وغالبا ما يتخذ موقفا سلبيا من الناس، وربما اتخذ موقفا عدائيا هداما من المجتمع الذي ينتهي اليه، فهم المجتمع فهما خاصا واقتنع بهذا الفهم وانطلق منه معمما ومستنتجا استنتاجات خاصة ايضا : لقد خلقنا من ازمته انسانا مشوها من الداخل وعجز عن تجاوز هذه الازمة او ايجاد حل مناسب لها، ان القلق والسوداوية وعدم الاستقرار وانعدام التوازن من سمات حياته المضطربة))^(٥٢) والازمة احيانا تكون قوة دافعة للشخص على ازالة العوائق، غير انه من الممكن كذلك للازمة ان تقود الى اتخاذ وضعية دفاعية تشوه الواقع ولا نرى الاسباب الحقيقية الكاملة خلف الفشل في تحقيق الأهداف^(٥٣) وكل ذلك يعد ((دلالة يقينية بفشله وعجزه، ودليل على سوداويته ورؤيته اليائسة للمستقبل))^(٥٤) وان الشخص المازوم غالبا ما كون ضميره حيا، لذا فهو دائما ما يعيش مرارة المعاناة ويكون في حالة توتر وقلق مستمرين، اذا يرى نفسه بطلا في زمان غير زمانه، بينما يراه الآخرون شخصا غاضبا^(٥٥) وغالبا ما يحاول الهرب الى العزلة التي لا تزيده الا كآبة ومزاجا حادا قلقا.

ومن الشخصيات المازومة لدى حسب الله يحيى نجدها في قصة (صورة العزيز) فهي من القصص تنتهي الى الواقعية الاجتماعية التي تسعى الى تقديم وعي سلمي في ادراك العلاقة بين الانسان وعالمه ومن ثم تكبل حركة الانسان من المساهمة في تغيير هذه العلاقة نحو الأفضل^(٥٦) وتقوم القصة على تقسيم ثنائي يستند على محورين متضادين من القيم هما: (محور الصدق) الذي يمثله (مالك صورة العزيز) الشخصية المحورية في القصة، من خلال تصديقه الدائم لمجتمعه المحيط وما يظهره من مشاعر ودية تجاه ذلك العزيز، و(محور الكذب) والمتمثل بالمحيط الاجتماعي، من خلال استغلال المكانة العالية للعزيز لدى هذه الشخصية بغية تحقيق مصالحهم الخاصة، ((ولان الصورة صارت كيانا، ووجودا، وخلودا مقدسا.. ولأنها تشكل هذا الحضور الاخاذ في رأسه ونفسه، فقد تنبه الجميع اليها واليه.. بحيث لم يعد أحد يفكر بالاقتراب منه والتعامل معه الا من خلال الصورة))^(٥٧).

فيظهر تشكيل البنية العاملة في القصة من خلال تحديد الذوات العاملة والموضوع الذي يعكس رغبة تلك الذوات وبقية العوامل المشاركة في بناء بنية السرد، اذ نجد من خلال المسار السردى ان (المرسل) احساس الذات (المجتمع المحيط) بالمكانة العالية والمرموقة للعزيز لدى الشخصية الرئيسة، الذي يعد العامل الاساسي الدافع بالذات الى تسليط الضوء نحو العزيز عن طريق مدحه والثناء عليه واظهار محاسنه؛ هو الانتفاع من الشخصية بالحصول على منافع او مكاسب يقابلها ذلك المدح والثناء، ويرى (غريماس) انه ليس من الضروري ان يتكون العامل الذات من شخصية واحدة؛ ذلك لان العامل في تصويره يمكن ان يكون ممثلا بممثلين متعددين، كما انه ليس من الضروري ان يصبح العامل شخصا ممثلا؛ فعلى هذا الاساس ستصبح الشخصية مجرد دور ما يؤدي في الحكي بغض النظر عما يؤديه من ادوار شموليه او فردية^(٥٨) ((وفي الصباح ... اقسام موظف انه تأخر عن الدوام بسبب زحمة المواصلات، بانه لن يتأخر بعد، وقد استعان بالصورة في تأكيد قسمه ... وعندئذ مضى صباح الموظف على خير. وفي الظهيرة غلب النعاس على موظفة كسولة.. وحين وبخها.. اكدت له بحق صاحب الصورة، انها مريضة.. فسامحها وزودها باستمارة مرضية. وعندما حان الانصراف.. فتح ابواب سيارته المتواضعة لأربعة من الموظفين ليقلهم معه.. فدعوا له ولموتاه بالرحمة.. ووضح أحد الاربعة كان يجلس في المقعد الامامي.. الف رحمة على روحه فهو يستحق الرحمة))^(٥٩) وفجأة تظهر لدى الشخصية الرغبة في

التخلي عن الموضوع القيمي (مدح العزيز)؛ نتيجة العامل المعارض (العزيز نفسه) الذي مارس فعل الاقناع بالتخلي عن كل من يدعي الصلة الباطلة بالعزيز، كاشفا عن كذب الذوات وخداعهم ((وذات ليلة باردة.. كان المطر يغسل المدينة، وثلج يضيء ويلون رآه، رآه يخرج من إطار الصورة، يحدق فيه، يتامله مليا.. ثم يحثه.. ويكشف له امر كل واحد ممن زاروه، وزعموا انهم من معارف واقارب واصدقاء وزملاء الغالي العزيز.. واكتشف.. ان المدينة كانت تكذب عليه باسم العزيز))^(٦٠).

فمن خلال هذه البنية العائلية نجد اننا امام مستويين عاملين، يتخذ مفهوما شموليا يهتم بالادوار وبالذوات المنجزة لها دون الاهتمام بالشخصية المحورية، ويتم ذلك من خلال علاقة الرغبة بين الذات والموضوع، اما الآخر فيبدأ عند ظهور دور العامل المعارض الذي منح الشخصية المحورية قوتها الذاتية الفاعلة، وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدرتها وارادتها وهي تراقب صراعا واخفاها، وسط المحيط الاجتماعي الذي رُمي بها فيه. وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة المتمثلة بـ (المحيط الاجتماعي للشخصية)؛ اذ يتولى العامل المساعد (مدح العزيز) تحقيق علاقة الاتصال بين الذات والموضوع؛ مما دفع بالعامل الذات نحو التمكن من تحقيق بعض المكاسب والمصالح التي انتهت الدور بها عند بداية ظهور العامل المعارض.

اما في قصة (انتظار المستحيل) يحيلنا الكاتب الى ظاهرة التغرب التي شكلت جزءا كبيرا من حياة المغتربين العراقيين، الذين تركوا وطنهم كراهية لأسباب (سياسية وعرقية واقتصادية، بيئية.. الخ)، فكشفت لنا هذه القصة المعاناة التي تواجهها الشخصية المهاجرة من اختلاف في الانظمة والعادات والتقاليد والاعراف الدينية والاجتماعية ما بين الوطن وبين بلاد المهجر، ((مما يسبب تصادما وصراعا داخل الشخصية بين الوطن الاصل وبين الوطن الجديد الذي التجأت اليه الشخصية))^(٦١) وتقوم هذه القصة اساسا على اسلوب السرد الذاتي الذي وظفه الكاتب بواسطة ضمير المتكلم (انا)؛ وذلك من اجل افصاح الشخصية والمتمثلة بموازن (العامل الذات) عن وجهة نظرها تجاه ظاهرة التغرب (العامل الموضوع في هذه الحكاية)، وما يتجلى من ضغوطات عائلته (العامل المعارض) في بنية السرد، وخاصة والده في الرغبة في التخلي عن فكرة الهجرة من بلده، اراد ومن خلال هجرته والانتقال للعيش خارج العراق ان يهرب من نفسه ومن كل ما يذكره بالحالة البائسة التي تمر بها البلاد، والبحث عن حياة كريمة وحرية تشبه الى حد ما حياة الغرب، هربا من واقع مزر لا يقيم للإنسان وزنا ولا قيمة، ((ابي اعرف.. اعرف ان الامر يحزنك كثيرا. اعرف ان السفر يعني بالنسبة اليك كارثة.. لكن الكارثة درستها، تأملتها، راجعتها مرارا، جعلت احتمالات الفشل فيها ممكنة، مثل ما امكانات النجاح فيها ممكنة كذلك.. واتخذت قرارا بالسفر))^(٦٢) ليواجه حزمة من المتغيرات اهمها القوانين والاعراف والتقاليد؛ مما جعله يعيش نوعا من الاحباط والتشاؤم والقلق الحضاري والانساني، ((من الزمي بكل هذا.. من اكرهني على هذا الخيار. كيف رضيت ان استبدل كل تلك الحفاوة في وجوه من أحب ومن التقى ومن احاور.. بكل هذا النحس، في وجوه تعاملني بشك وريبة ورهبة. وجعلها تنظرني كما لو كنت معنوها او مصابا بالجذام))، لقد شكل هذا السرد السير ذاتي ادهاشا حقيقيا على المستوى العالمي للذات، لما يمتاز به من خاصيات تضفي طابع الذاتية والواقعية على النص السردى، وتزيد المتلقي احياء بحقيقة الحدث وصدق واقعيته^(٦٣) مما يجعلنا امام مفارقة حديثة على المستوى المعاشي، من شخصية برجوازية كانت تجد نفسها انيقة مرفهة في وطنها، فيتحول بها الحال الى واقع اخر مزر، مخيب للأمال والتطلعات، مع الشعور بالقسوة والظلم والتمييز على الهوية، ((كانت الدروب موصده امامي. كانت شهادتي الطبية لا تعني شيئا. كانت لا تضفي علي اقل احترام اتوسلة.. كانوا يحدقون مرارا في وجهي وجواز سفري وشهادتي واوراق. كنت مهتما بشكل دائم.. ودائما علي ان اثبت برائتي))^(٦٤) لقد ولدت هذه المفارقة شيئا من الاضطراب النفسي الذي يعيشه مازن كتشظي الهوية وانعدام الشعور بالانتماء إلى الوطن الجديد رغم وجوده فيه، فالطريق الذي سلكه مازن كان يؤدي الى الوهم وان استمرار السير فيه يؤدي الى اللا

جدوى، ((تصبحني الحقائق او اصاحبها، ارافقها او ترافقي، استظل بها او تستظل بي.. فكلانا ينتمي الى وطن واحد، وكلانا عرف الوجوه نفسها، وكلانا يعاني من الغربة والتشرد))^(٦٥).

وفي النهاية يتحدد لنا تقويم نهاية المسار السردى للذات العاملة المتمثلة بـ(مازن) من خلال هذه البنية العاملة، اذ نجد انفصالا تاما بين العامل الذات (مازن) والعامل الموضوع، فكرة اللجوء الى خارج البلاد، ليُصَدَمَ بواقع مزرٍ اشد ضراوة من الواقع الذي كان عليه، كما ان هناك انفصالا على مستوى العاملين المرسل المتمثل بالآمال والتطلعات التي كانت تهدف الشخصية الى تحقيقها، والمرسل اليه الاحباط النفسي والتشرد والغربة التي عانتها الشخصية، وعلى الرغم من غياب العامل المساعد، الا انه لم يكن للعامل المعارض (الاب والاسرة) دورا مؤثرا على قرار الشخصية نظراً لقناعتها التامة في العامل الموضوع وخوض تجربتها الجديدة التي بنت عليها امال كبيرة الا انها بائت بالفشل.

وفي قصة (جثث) يحيلنا الكاتب الى واحدة من القضايا الانسانية التي شاعت في حقبة من حقبات التاريخ العراقي الحديث وتسمى — (جثث مجهولي الهوية) التي اخذت تستغيث من اجل دفنها، اذا يعكس هذا الموقف مقدار حزن الانسان على ذاته، من خلال ندائه للضمائر الحية؛ من اجل مواراتها ودفنها في مئوaha الاخير، ليعبر الكاتب من خلالها عن غياب الضمير الانساني من خلال عدم الاستجابة لنداء الجثث الهامدة تلك ومواراتها، وهي من الحالات التي باتت تؤرق الناس وتثير الرعب في نفوسهم، اذ تبدأ هذه القصة عن طريق (حارس الجثث) من خلال حوار (المونولوجي) المتمثل بحلم اليقظة، فراح يتخيل نفسه هو في موقع الجثث، فيأخذ يستغيث ويرجو المساعدة في مواراته الى عالمه الاخر، دون مجيب او منقذ وكأنه ينادي مجهولا، ((وراح يتأمل نفسه ... لو انه مات... مات في هذه اللحظة... من يتكفل ايصاله الى ذويه، من يتكفل بدفنه، من يسأل عنه ويعرف كيف مات، خوفا، او قتله أحد اللصوص، او انتابه مرض مفاجئ... او تجمد من البرد... من المسؤول عن موته... وهنا ... وهنا وجد نفسه يختنق... يصرخ:

اسقوني ... اسقوني ...

لم يصغ لندائه أحد كانت كل الجثث منصرفة الى هدوء أبدي ... الى قوة مجهولة تشدها الى مكانها.

أحس بالاختناق. انه ميت لا محالة ...

وان نداء الموت يقترب منه:

اسقوني ... اسقوني.

كان الصوت يعلو. كان الصوت الاخر ... صوته.. ثم اصوات تنادي كلها... كلها تطلب مجهولا، تتوسل الارتواء))^(٦٦). وفي نهاية المسار السردى نجد اننا امام ذات عاملة متمثلة بـ (الجثث مجهولة الهوية)، تفصح رغبتها بالاتصال بالموضوع، (الدفن في مئوaha الاخير)، ولكن هذا النداء لم يأخذ صدها او يُسمع مجيبا، وهذا يعني وجود انفصال تام بين الذات العاملة والموضوع، مع غياب دور العامل المساعد الذي يكشف عن عدم القدرة على اداء دوره، والقيام بهذه المهمة؛ خِشْيَةً وَرَهْبَةً من بطش العامل المعارض الذي يتمثل بالسلطة الحاكمة المسؤولة عن هذه الجثث، والذي يعكس مقدار الاستهانة والاستخفاف بأرواح الناس من خلال ترك اجسادها جثثا هامدة من غير دفن، وهذا ما يترك اثره النفسي على العامل المساعد (الحارس) وهو يرى نفسه في خضم صراع ليس دور فيه، رغم شراكنه الكاملة للضحية في محنتها ومأساتها.

الهوامش:

- (١) ينظر: شخصية الفرد العراقي ثلاث صفات سلبية خطيرة، التناقض، التسلط، الدموية، باقر ياسين، دار اراس للطباعة والنشر، اربيل، ط١، ١١، ١٢٩: ١٩٩٠.
- (٢) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠: ٢٧٩.
- (٣) الشخصية في قصص سناء شعلان، ميزر علي مهدي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، ٢٠١٢: ٩٠.
- (٤) ينظر: شخصية الدكتاتور في المسرح العالمي ودراسات أخرى، حسب الله يحيى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥: ٢١٢.
- (٥) المصدر نفسه: ٢١٢.
- (٦) ينظر: النظرية النقدية عند ارك فروم، قاسم جمعة، منتدى المعارف، ط١، بيروت، ٢٠١١.
- (٧) التحليل السيميائي للنص الروائي: ٤٩.
- (٨) اصابع الازواج العراقية: ٧٥.
- (٩) المتخيل السردى- مقاربات في الرؤى والتناص والدلالة، عبد الله ابراهيم، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠: ٦١.
- (١٠) تقانات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠: ٩٠.
- (١١) ينظر: السرد الروائي في لعمال ابراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر، الاردن، ٢٠٠٤: ١١٩.
- (١٢) اصابع الازواج العراقية: ٧٦-٧٧.
- (١٣) المصدر نفسه: ٧٦.
- (١٤) المصدر نفسه: ٧٦.
- (١٥) المصدر نفسه: ٧٧.
- (١٦) القمع في الخطاب الروائي العربي، عبد الرحمن ابو عوف، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ط١، ١٩٩٩: ١٣.
- (١٧) ينظر: الرواية العربية في العراق من ١٩٩٠ الى ٢٠٠٤، (دراسة في المضامين والاشكال الفنية) اطروحة دكتوراه، لقاء موسى فنجان، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٧: ٥٥.
- (١٨) هواجس: ١٥٦.
- (١٩) المصدر نفسه: ١٥٦.
- (٢٠) المصدر نفسه: ١٥٧.
- (٢١) ينظر: حسب الله يحيى قصا، رسالة ماجستير، نضال عبد الرحيم، كلية ابن رشد جامعة بغداد، ٢٠١٦: ٢٠.
- (٢٢) ينظر: متغيرات السرد في الادب الروائي العراقي، من عام ١٩٩٠ ولغاية ٢٠١٠، اطروحة دكتوراه، رواء نعاس محمد، جامعة القادسية، كلية الاداب، ٢٠١٣: ٢.
- (٢٣) سلطة النص، مشري بن خليفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، دت: ١٠٨.
- (٢٤) حقائق عارية: ٣٩.
- (٢٥) ينظر: ما بعد الحداثة في الرواية العراقية، علي سعيد، نقلا عن الناقد العراقي فاضل ثامر، مجلة المدى، العدد ٣١٨٣، ٢٦/٩/٢٠١٤: <https://www.almadaparper.net>.
- (٢٦) ينظر: المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير، راما عبد الجليل راضي، كلية التربية جامعة القادسية، ٢٠١٧: ١٥.
- (٢٧) المفارقة وصفاتها، د. سي ميوك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، ١٩٨٧: ٧٩.
- (٢٨) سيميائية الشخصيات في قصص سناء شعلان، ميزر علي مهدي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٣: ١٤.
- (٢٩) الشخصية في قصص عبد الرحمن مجيد الربيعي ١٩٦٦-١٩٨٠، ذكرى ابراهيم محمد، رسالة ماجستير، جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الانسانية، ١٩٩٧: ٢١.
- (٣٠) معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لابلانش، بونثاليس، ترجمة مصطفى حجازي، دت: ٤٦.
- (٣١) الصحة النفسية، جمال حسين الالوسي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠: ٥٨.
- (٣٢) جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي، علي الفزاع، دار المهدي، ط١، عمان، ١٩٨٥: ١٥١.
- (٣٣) صورة أبطل في الرواية العراقية، صبري مسلم حمادة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٨٤: ١١٩.
- (٣٤) ينظر: الشخصية في قصص سناء شعلان: ١٥.
- (٣٥) جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي: ١٥٥.
- (٣٦) ينظر: البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٢: ١٣-١٤.
- (٣٧) ينظر: المواقف النقدية (قراءة في نقد القصة القصيرة في العراق)، أ. د. كريم الوائلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٦: ٤٩.
- (٣٨) اجنحة حجرية: ١٣.
- (٣٩) ينظر: بنية النص السردى: حميد الحميداني: ٥١-٥٢.
- (٤٠) اجنحة حجرية: ١٩-٢٠.
- (٤١) المصدر نفسه: ١٩-٢٠.
- (٤٢) المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة: ١٧.
- (٤٣) هواجس: ٢١٣.
- (٤٤) ينظر: الواقعية في ادب يوسف ادريس، الرشيد بوشعير، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق، سوريا، ١٩٨٠: ٣٥٢.
- (٤٥) هواجس: ١٢٤.
- (٤٦) المصدر نفسه: ٢٣.
- (٤٧) سيميائية الشخصيات في قصص سناء شعلان، ميزر علي مهدي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠١٣: ١٤.

- (٤٨) الشخصية في قصص عبد الرحمن مجيد الربيعي ١٩٦٦_١٩٨٠، ذكرى ابراهيم محمد، رسالة ماجستير، جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الانسانية، ١٩٩٧: ٢١.
- (٤٩) معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لابلانش، بونثاليس، ترجمة مصطفى حجازي، دت: ٤٦.
- (٥٠) الصحة النفسية، جمال حسين الالوسي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠: ٥٨.
- (٥١) جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي، علي الفزاع، دار المهدي، ط١، عمان، ١٩٨٥: ١٥١.
- (٥٢) صورة أبطال في الرواية العراقية، صبري مسلم حمادة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٨٤: ١١٩.
- (٥٣) ينظر: الشخصية في قصص سناء شعلان: ١٥.
- (٥٤) جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي: ١٥٥.
- (٥٥) ينظر: البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٢: ١٣-١٤.
- (٥٦) ينظر: المواقف النقدية (قراءة في نقد القصة القصيرة في العراق)، أ. د كريم الوائلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٦: ٤٩.
- (٥٧) اجنحة حجرية: ١٣.
- (٥٨) ينظر: بنية النص السردي: حميد الحميداني: ٥١-٥٢.
- (٥٩) اجنحة حجرية: ١٩-٢٠.
- (٦٠) المصدر نفسه: ١٩-٢٠.
- (٦١) المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة: ١٧.
- (٦٢) هواجس: ٢١٣.
- (٦٣) ينظر: الواقعية في ادب يوسف ادريس، الرشيد بوشعير، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق، سوريا، ١٩٨٠: ٣٥٢.
- (٦٤) هواجس: ١٢٤.
- (٦٥) المصدر نفسه: ١٢٣.
- (٦٦) اجنحة حجرية: ٦١-٦٢.

المصادر المراجع:

- اجنحة حجرية.
- اصابع الاوجاع العراقية.
- البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٢.
- بنية الشكل الروائي، حسن بحراري، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٠.
- التحليل السيميائي للنص الروائي.
- تقانات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠.
- جبرا ابراهيم جبرا، دراسة في فنه القصصي، علي الفزاع، دار المهدي، ط ١، عمان، ١٩٨٥.
- حدائق عارية.
- حسب الله يحيى قاصا، رسالة ماجستير، نضال عبد الرحيم، كلية ابن رشد جامعة بغداد. ٢٠١٦.
- الرواية العربية في العراق من ١٩٩٠ الى ٢٠٠٤، (دراسة في المضامين والاشكال الفنية) اطروحة دكتوراه، لقاء موسى فنجان، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٧.
- السرد الروائي في لعمال ابراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر، الأردن، ٢٠٠٤.
- سلطة النص، مشري بن خليفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ت.
- سيمائية الشخصيات في قصص سناء شعلان، ميزر علي مهدي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣.
- شخصية الدكاتور في المسرح العالمي ودراسات أخرى، حسب الله يحيى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥.
- شخصية الفرد العراقي ثلاث صفات سلبية خطيرة، التناقض، التسلسل، الدموية، باقر ياسين، دار اراس للطباعة والنشر، اربيل، ط ١، ١١٩٩.
- الشخصية في قصص سناء شعلان، ميزر علي مهدي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، ٢٠١٢.
- الشخصية في قصص عبد الرحمن مجيد الربيعي ١٩٦٦-١٩٨٠، ذكرى ابراهيم محمد، رسالة ماجستير، جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٩٩٧.
- الصحة النفسية، جمال حسين اللوسي، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
- صورة أبطال في الرواية العراقية، صبري مسلم حمادة، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٨٤.
- القمع في الخطاب الروائي العربي، عبد الرحمن ابو عوف، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ط ١، ١٩٩٩: ١٣.
- ما بعد الحداثة في الرواية العراقية، علي سعيد، نقلا عن الناقد العراقي فاضل ثامر، مجلة المدى، العدد ٣١٨٣، ٢٦/٩/٢٠١٤:
- <https://www.almadaparper.net>
- المتخيل السردى- مقاربات في الرؤى والتناس والدلالة، عبد الله ابراهيم، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠.
- متغيرات السرد في الادب الروائي العراقي، من عام ١٩٩٠ ولغاية ٢٠١٠، اطروحة دكتوراه، رواء نعاى محمد، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٣.
- معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لابلانش، بونثاليس، ترجمة مصطفى حجازي، د، ت.
- المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير، راما عبد الجليل راضي، كلية التربية جامعة القادسية، ٢٠١٧.
- المفارقة وصفاتها، د. سي ميوك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، العراق، ١٩٨٧.
- المواقف النقدية (قراءة في نقد القصة القصيرة في العراق)، أ.د. كريم الوائلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ٢٠٠٦.
- النظرية النقدية عند ارك فروم، قاسم جمعة، منتدى المعارف، ط ١، بيروت، ٢٠١١.
- الواقعية في ادب يوسف ادريس، الرشيد بوشعير، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة دمشق - سوريا، ١٩٨٠.

Resources and References:

- Stone wings.
- Fingers of Iraqi pain.
- The Problematic Hero in the Contemporary Arabic Novel, Muhammad Azzam, Al-Ahali Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 1st edition, 1992.
- The Structure of the Novel Form, Hassan Bahrawi, Arab Cultural Center, 1st edition, 1990.
- Semiotic analysis of the fictional text.
- Techniques of novel narration in light of the structural approach, Yumna Al-Eid, Dar Al-Farabi, Beirut, 1990.
- Jabra Ibrahim Jabra, A Study in the Art of Storytelling, Ali Al-Fazza, Dar Al-Mahd, 1st edition, Amman, 1985.
- Bare gardens.
- Hasaballah Yahya Qasa, Master's Thesis, Nidal Abdul Rahim, Ibn Rushd College, University of Baghdad. 2016.
- The Arabic novel in Iraq from 1990 to 2004, (a study of contents and artistic forms), doctoral thesis, meeting with Musa Fanjan, University of Baghdad, College of Education for Girls, 2007.
- The narrative narrative in Ibrahim Nasrallah's Workers, Al-Kindi Publishing House, Jordan, 2004.
- The Authority of the Text, Mishri Bin Khalifa, Difference Publications, Algeria, Dr. T.
- Semiotics of Characters in Sanaa Shaalan's Stories, Mizar Ali Mahdi, Master's Thesis, Tikrit University, College of Education for Human Sciences, 2013.
- The Personality of the Dictator in the World Theater and Other Studies, Hasaballah Yahya, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 2005.
- The personality of the Iraqi individual: three dangerous negative traits: contradiction, tyranny, bloodiness, Baqir Yassin, Aras Printing and Publishing House, Erbil, 11th edition, 129.
- The Personality in Sanaa Shaalan's Stories, Mizar Ali Mahdi, Master's Thesis, Tikrit University, 2012.
- The Personality in the Stories of Abdul Rahman Majeed Al-Rubaie 1966-1980, The Memory of Ibrahim Muhammad, Master's Thesis, University of Mosul, College of Education for Human Sciences, 1997.
- Mental Health, Jamal Hussein Al-Alusi, Dar Al-Kutub for Printing and Publishing, Baghdad, 1990.
- The image of a hero in the Iraqi novel, Sabri Muslim Hamada, doctoral thesis, University of Baghdad, 1984.
- Repression in the Arab Novelist Discourse, Abdul Rahman Abu Auf, Cairo Center for Human Rights Studies, 1st edition, 1999: 13.
- Postmodernism in the Iraqi Novel, Ali Saeed, quoted by Iraqi critic Fadel Thamer, Al Mada Magazine, No. 3183, 9/26/2014: <https://www.almadaparper.net>.
- The Narrative Imaginary - Approaches to Visions, Intertextuality, and Meaning, Abdullah Ibrahim, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut, 1990.
- Narrative variables in Iraqi novel literature, from 1990 to 2010, doctoral thesis, Rawaa Naas Muhammad, Al-Qadisiyah University, College of Arts, 2013.
- Dictionary of Psychoanalytic Terms, Jean Laplanche, Bonthalis, translated by Mustafa Hegazy, D., T.
- Paradox in the Contemporary Iraqi Novel, Master's Thesis, Rama Abdul Jalil Radi, College of Education, Al-Qadisiyah University, 2017.
- Paradox and its characteristics, Dr. Si Miok, translated by Dr. Abdul Wahed Lulua, Dar Al-Mamoun for Translation and Publishing, Iraq, 1987.
- Critical positions (a reading of short story criticism in Iraq), A. Dr. Karim Al-Waeli, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 2006.
- Critical Theory according to Arc Fromm, Qasim Jumaa, Al-Maaref Forum, 1st edition, Beirut, 2011.
- Realism in the Literature of Youssef Idris, Al-Rashid Boushair, Master's thesis, Faculty of Arts, Damascus University - Syria, 1980.